



ما أشبه اليوم بالبارحة!

في عام 1435 / 2014 م طُرِح سُؤال هل تنظيم (الدولة) من الخوارج؟

وكان التنظيم وقتها يرفع صوته بالجهاد في سبيل الله، وإقامة الدين، وتهديد الروافض واليهود والصلبيين، أفراده يطلقون لحاظهم، ويرددون عبارات الكفر والهزة بالطاغية، بعضهم جاء من أقاصي الدنيا (مهاجراً) تاركاً أهله وماله في سبيل الله، وأخر متفانٍ في العبادة، وثالث شرس في القتال.. فكيف يُقال إن هؤلاء خوارج؟

كان مجرد التفكير بالسؤال ضرباً من الخيال، وحينها صدر عن عدد من أهل العلم والجهات العلمية موافق وفتاوی تميّط اللثام عن حقيقة القوم، ومنها فتوى هل تنظيم (الدولة الإسلامية) من الخوارج؟

المشكلة مع الخوارج أنهم يرفعون شعارات دينية، ويتكلّمون بأحكام شرعية، ويرددون آيات وأحاديث، فالافتنة بهم شديدة عظيمة، تجعل التباس أمرهم على الناس شديداً، وتميّزهم عن غيرهم في غاية الصعوبة؛ لذا ورد في التحذير منهم أكثر من عشرين حديثاً، لم يُحذّر فيها من فرقة أخرى قط كما حذّر من الخوارج، ولم يُفصّل كما فصّل فيهم ببيان صفاتهم الشرعية، وشبهاتهم العقدية، بل وسماتهم الشخصية، وطبعاتهم النفسية.

و جاء التأكيد على بعض الأمور التي قد ينخدع بها الناس كالاجتهاد في العبادة: (لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ)!

وكثرة استشهادهم وترديدهم لآيات القرآن والسنّة النبوية: (يَقْرَئُونَ الْقُرْآنَ، (يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا)، (يَقُولُونَ مِنْ قَوْلٍ خَيْرٍ الْبَرِّيَّةِ).

وينظر في بقية هذه الصفات في مقال (صفات الخوارج في السنّة النبوية)

وفي العصر الحاضر: انضمَّ إلى ما سبق فتنتان أخريان تزيد من خفاء أمر الخوارج على العامة، وهما:

1- أنَّ الناس قد اعتادت أن ترى العدو الشرير هو من يعادى الإسلام ويتطاول على أحکامه وشعائره، ويحتقر مقدساته، كما هو معهود عبر عشرات السنين من الطبقة العلمانية في المجتمعات الإسلامية، يسارية كانت أم ليبرالية، أم ملحدة، لكن أن يكون من أعلن (التوحيد والبراءة من الطواغيت) هو العدو المفسد، فهذا جديد!

2- رمي أنظمة الاستبداد والقمع في الدول الإسلامية للحركات الإسلامية: الدعوية منها والمجاهدة بوصف الخوارج، سيراً على سنة المستعمرين قبلهم، الذين كانوا إذا أرادوا تشویه سمعة مجاهدٍ، أو عالمٍ، أو داعيٍّ، أو مصلحٍ قالوا: خوارج! فأصبح رمي من ظاهره الدين والصلاح والجهاد بالخروج سمة المستعمرين والحكام المستبدّين، فقد اللفظ حقيقته ومصاديقه عند الكثيرين، وأصبح علامةً على حرب الفاسدين للمجاهدين والمصلحين!

من هو الخارجي؟

من الشُّبه التي أثيرت حول وصف جماعات الغلو المعاصرة (داعش) بالخوارج: أنَّ الخوارج هم من يكفر المسلمين بالكبيرة، وأنَّ الخوارج هم من خرّجوا على الحاكم المسلم، وهذه الجماعات لا تُكفر بالكبيرة، ولم تخرج على حاكم مسلم، فكيف توصف بأنها خوارج؟ وقد أُجيب عن هذين السُّؤالين بأن هذين الوصفين المذكورين غير لازمين في وصف الخوارج، وإنما الخوارج هم:

- كل من يكفر المسلمين بغير حق، ويستحل دماءهم ولو لم يعتقد كفر مرتكب الكبائر.
- كل من خرج عن الدين الصحيح، وفارق جماعة المسلمين وخرج عليها بالسلاح.

وفي الفتوى السابقة تفصيل ذلك.

فهل تنظيم (الدولة) من الخوارج؟

أيُّقِنُ الجميع بعد هذه السنوات أنَّ تنظيم (الدولة) تنظيمٌ خارجيٌّ، وخاصةً ممن عارض تسميتهم بذلك في البداية، وأقذع في الاعتراض والرفض، لكن بعد أن قتل المجاهدين، ودمَّرَ البلاد، وأسلم مناطق الثورة للنظام.. فهل من معتبر؟

علاقة تنظيم (هيئة تحرير الشام) بالقاعدة:

في هذه العَجَالة لن أتحدث عن حقيقة انفصال الهيئة عن القاعدة، وتنقلها في مسميات عديدة من: جبهة النصرة، ثم الاستعلان بالانتماء للقاعدة فأصبح اسمها: جبهة النصرة-تنظيم القاعدة في بلاد الشام، ثم الدخول في تحالف "جيش الفتح" و"جيش الفسطاط"، ثم تغيير الاسم إلى جبهة فتح الشام، ثم هيئة تحرير الشام.

فهذه خدعة لم تُنطَلِّ إلا على من جهل حال هذه التنظيمات وأفكارها.. وقد سار الجولاني بهذه الخطوة على سيرة أسياده من قبله: الظواهري وزعماء القاعدة في العراق:

فالظواهري أمير تنظيم (الجهاد) استطاع استمالة ابن لادن بتحالف (الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد اليهود والصلبيين)، ثم خطأ خطوة أشد عندما (حلَّ) تنظيمه (الجهاد) وبایع ابن لادن لينشأ تنظيم القاعدة، متلِّساً بأفكار الظواهري ومنهجه.

وفي العراق: ظهر تنظيم (التوحيد والجهاد)، والذي تغيَّر إلى (تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين)، ثم (مجلس شورى المجاهدين)، ثم (دولة العراق الإسلامية)، انتهاءً بـ (الدولة الإسلامية) وإعلان الخلافة.

فإعادة تشكيل الجماعات تحت أسماء مختلفة مما اعتادت عليه جماعات الغلاة المعاصرة بغية التمويه في معتقداتها ومرجعيتها، والتخلص من تاريخها الحافل بالإجرام، وإيهام الآخرين بتطورها واستيعاب شرائح أوسع من المجتمع؛ مما يجعلها تُقدِّم نفسها على أنها الأكبر حجمًا، والأكثر عدداً، وبالتالي الأكثر مشروعية.

هل تنظيم (هيئة تحرير الشام) من الخارج؟

منذ أن ظهرت جبهة النصرة في سوريا وهي تُعلن انتماها الفكري والتنظيمي للقاعدة، وهي ابنة شرعية لـ (الدولة) ومنظرو هذا الفكر معروفون، ومنتجاتهم منتشرة، وأراؤهم معلنة، وعلى رأسهم: الظواهري، وأبو حمزة المهاجر، والبرقاوي (أبو محمد المقدسي)، ومحمود عمر (أبو قتادة الفلسطيني)، واللجان الشرعية لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب، وغيرهم.

وقد احتوى تنظيم القاعدة -أصل تنظيم (الدولة)- معظم عقائد وأفكار التنظيمات السابقة، ومنه ورثت القاعدة عقائدها وأفكارها كجماعات (الجهاد) المصرية، و(الجيا) الجزائرية، ونحوها، وأهم هذه الأفكار والمعتقدات ما يلي: (رغبة في الاختصار ولو وجود منتجات قادمة ساقتصر على المسائل دون استشهاد بأقوال هؤلاء):

1- تكفير جميع حكومات الدول الإسلامية بحكمها ووزرائها وبرلماناتها وكبار موظفيها، وقضاتها، واعتبارها حكومات شرك وردة، ووجوب قتالها.

2- الحكم على جميع البلاد الإسلامية أنها بلاد كفر وردة حتى مكة والمدينة.

3- تكفير جميع الأجهزة الأمنية في الدول الإسلامية بما فيها الجيش والشرطة، والطوارئ، وحرس الحدود ..إلخ، ووجوب قتالهم.

4- إسقاط جميع علماء المسلمين، ووصفهم بأنهم سدنة الشرك، وأنصار الطواغيت ..إلخ، وإباحة قتالهم بأبشع الطرق، و منهم من كفّرهم.

5- ادعاؤهم أنهم الجماعة الحق الواجبة الإتباع، وأنهم المقصودون بالطائفة المنصورة، ومنهم سيخرج المهدي وفيهم ستكون الخلافة الراشدة.

6- الحكم على جميع الجماعات والحركات الإسلامية المجاهدة والدعوية في العالم أنها جماعات بدعة وضلال وإرجاء، وأنها معينة للطواغيت وحكام الردة، وعميلة لمشاريع أجنبية؛ لذا ينبغي إجبارها على البيعة، ومن يرفض فيقاتل.

7- اعتبار جميع الشعوب الإسلامية جاهلة ضالة، ساقطة العدالة، لا تملك الأهلية لإقامة الدولة أو اختيار الحاكم، فضلاً عن حمل المشروع، لذا يجب إجبارها على الدخول في مشروع هذه الجماعات ولو بالإكراه لتقوم بواجب (الجهاد) مهما بلغت التضحيات.

8- كل من تعاون مع الأنظمة التي يصفونها بالردة والشرك وعمل معها واستعان بها فهو كافر مرتد مباح القتال.

9- الحكم على كل من دعا إلى الديمقراطية بالكفر والردة، وإباحة قتاله، وكذا كل من رفض مشروعهم وعارض منهجهم.

10- الحكم على كل من دخل أو عمل في المؤسسات والمنظمات العالمية، بالكفر والردة.

11- إباحة قتل المسلمين الآمنين بحجة (التترس) في تفجيراتهم وعملياتهم التي يقومون بها.

12- استباحة دماء المعاهدين من الذميين والمستأمنين بحجة عدم صحة عقد الذمة أو الأمان من الحكومات؛ لأنها كفريّة طاغوتية يزعمونها.

وما سبق هو أصول المسائل ورؤوسها فحسب، أما تفريعاتها العقدية والفقهية وتطبيقاتها فهي تمتد لسائر مسائل الدين. وليلعلم من استفرزه تسجيل (أبو اليقظان) ليبحث عن حكم القاعدة (تحرير الشام): أنَّ ما تفوه به هذا المجرم إنما هو غرفة من بحر القاعدة، وقد قرر قادة التنظيم كالجولاني وغيره ما هو أخطر منه، لكن للحدث المفجع الحالي وقعه. وبهذا الحكم صدر مؤخراً بيان المجلس الإسلامي السوري: **بيان بشأن جبهة النصرة (فتح الشام)**

لسائل أن يقول إذا كانت القاعدة قد حكمت على تنظيم (الدولة) بالخارجية، وحصل بينهما انقسام، فهل يصح رمي القاعدة بها؟ وهل بينهما تشابه؟

الجواب: رمي جماعةٍ لأخرى بالخارجية لا يجعلها من أهل السنة، فسيرة الخوارج منذ القدم العداوة فيما بينهم، وانشقاق جماعاتهم، فلا تكاد تستقيم لهم طريقةٌ إلا ويكثر المنشقون عنها، والاقتتال بينها؛ وهذا راجٍ إلى طبيعة فكر الغلو وما يحمله طياته من التشظيٍّ وكثرة الاختلاف وأدعاء احتكار الحق، ولا تزال هذه سنة الغلاة منذ القدم، قال ابن حزم في "الفصل": "ولهذا تجدهم يُكَفِّرُ بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها، فظهر ضعفُ القوم وقوّةُ جهالهم". فلا ينبغي الاغترار بانشقاق البغدادي عن الطواهري، ولا العريدي وأبي خديجة عن الجولاني، ما لم تحدث توبة حقيقة صادقة، وعودة إلى دين الأمة وصفوفها؛ لأنَّ خلافهم ليس على أصول المعتقدات والأفكار.

كما أنَّ فِرَقَ الْخَوَارِجِ بعضها أشدَّ انحرافاً من بعض، ولا يعني هذا سُنية من خالف الأشد ضلالاً.

أما الفرق بين تنظيم (الدولة) والقاعدة: فها هي أفكار القاعدة التي سبقت الإشارة إليها: هل يجد القارئ اختلافاً بينها وبين أفكار التنظيم؟

إنَّ الفروقات بين التنظيمين تكاد تتحصر في:

1- استعجال تنظيم (الدولة) لمشروع الخلافة قبل انتهاء القاعدة من مشروع (إدارة التوحش)، وهو ما أوجج الصراع على القيادة بينهما.

2- مصداقية تنظيم (الدولة) في إعلان كافة أفكارهم ومعتقداتهم بصرامةً ودون مواربة، واكتفاء القاعدة بإعلان جزءٍ منها، وإخفاء بقيتها للمجالس الخاصة والمقربين.

3- تناقض أحكام تنظيم (الدولة) التطبيقية مع أصولهم الفكرية في عدد من المسائل، بينما توقفت القاعدة عن بعض هذه التطبيقات والتي لا تكاد تصل إلى العشرة بالمائة من مجمل المعتقدات.

4- زيادة استثمار الأنظمة والاستخبارات في (داعش) لتحقيق أهداف أعمق وأخطر. وأخيراً...

أيها المخدوع بالقاعدة لجهادها في أفغانستان: إنَّ أوائل المجاهدين العرب لم يكونوا من القاعدة، بل كان التكفيريون معزولين عن بقية المجاهدين، غالبيهم في الصنوف الخلفية لإثارة الفتنة وامتحان الناس، مخترقين من الاستخبارات، حتى التف كبيرهم الطواهري على ابن لادن وغيره وطريقته.

أيها المخدوع بالقاعدة لجهادها في العراق: إنَّ القاعدة بين بقية الفصائل وسائر الشعب العراقي لم تكن إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، لكنه الإعلام صانع الغلة،وها قد وظفهم المستعمرون وأذنابهم في القضاء على الجihad العراقي كما يوظفون (تحرير الشام) في سوريا.

أيها المخدوع بالقاعدة لكون أتباعها من المجاهدين العابدين: إنك لم تر شيئاً! ارجع إلى التراث وانظر في سيرة الخوارج: شعارات أقوى من شعارات هؤلاء، وطالبات بتحكيم الشرع أشد من هؤلاء، وعاطفة جياشة تُبكي الصخر لم توجد عند أكثر هؤلاء، وبلاهة وشعر يعجز عنه الكثير من الفصحاء، وقوهه وعنفه يعجز عنه كثير من الشجعان، فهل غير ذلك من حكم الصحابة وأهل العلم فيهم؟

أيها المخدوع بالقاعدة لمعاداتها للمستعمرات الجدد وأذنابهم: إنَّ هؤلاء المستعمرين والأذناب هم أكثر المخترقين والمؤثرين في هذه الجماعات بطريقةٍ أو أخرى، ولا يضرهم شتمها لهم، أو بعض عمليات (الوحوش) التي تقوم بها؛ فهي من ضرورات استكمال المشهد وتكتير الأتباع.

أيها المخدوع بالقاعدة لقتلها بعض الأعداء .. إنَّ ما قتله (داعش) من الميليشيات الشيعية والكردية أضعف ما قتله (تحرير الشام) من النظام السوري(*)، وإنَّ العبرة ليست في كمية القتل، بل في المنهج الذي تسير عليه هذه الجماعة، فما فائدة قتل آلاف الأعداء إن صاحبه قتل المجاهدين الصادقين، وإنها ثورة الشعب الصامد، ثم كان عاقبة ذلك تدمير البلاد وعودة النظام لهذه المناطق بحجة مكافحة الإرهاب؟

أيها المخدوع بالقاعدة .. إن لم تقنع بما سبق، ولم تقنع فتاوى وأقوال سائر أهل العلم في العالم الإسلامي منذ عشرات السنين: فأحسن الله عزاءك في نفسك، وتوجه إلى الله بطلب الهدایة؛ فإنَّه ما ترك شخصٌ طريقة العلماء ورثة الأنبياء إلا كان من أهل الضلاله..

والحمد لله

(*) يدرك المتابعون لسير العمليات العسكرية بين (داعش) والميليشيات الشيعية والأكراد أنَّ قتلى هذه الميليشيات بعشرات الآلاف، وما ذلك إلا لرغبة المستعمر الجديد في إضعاف طرف النزاع، فيدير الصراع بحيث يخرج حلفاؤه منتصرين لكن مجاهدين مثخنين بالجراح، شبابهم بين قتيل ومعاق، وأرضهم مدمرة، وأسلحتهم معطوبة، كما كان يفعل في حرب الخليج العراقية الإيرانية؛ ليبقوا إليه محتاجين، وتحت حذائه مستظلين.

المصادر: